همزته هاء قالوا اهاك في اباك وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون الاصل من وطي على ترك
الهمزة فيكون اصله طا يا رجل ثم اثبت الهاء فيها للوقف وعلى هذا يحتمل ان يكون اصله
طه طاها والموسد له من الهمزة والها كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبها على صورة
الحرف واما قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فذكروا في سبب نزولها اقوالا
احدها ان ابا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا يا رسول الله انك لتشقى
حين تركت دين ابائك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين فانزل الله تعالى
هذه الاية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بان دين الاسلام والقران هو السلم
الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وثانيها
انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك
فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحا وروي انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام
وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب بانه يبعد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل
شيا من ذلك فلا بد وان يكون قد فعله بامر الله تعالى فاذا فعله عن امره فهو من باب
السعادة لا من باب الشقا ثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لا تشق نفسك
وتعذبها بالاسف على كفرهم اولا فانما عليك القران لتذكر به من امن فمن امن واصلح فلنفسه
ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك الا البلاغ وهذا كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مومنين ولا يحزنك كفرهم رابعها ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وفي ذلك
الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا تحت ايدي اعدايه فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى على
هذه الحالة بل يعلو امرك ويظهر قدرك فانا ما انزلنا عليك القران لتبقى شقيا بل تصير
معظما مكرما زاده الله تعظيما وتكريما وتشريفا قال تعالى انا اعطيناك الكوثر السورة
قال الامام فخر الدين الخطيب في هذه السورة كثير من الفوايد منها انها كالمتممة لما قبلها من
السور وذلك لان الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم
وتفصيل احواله فذكر تعالى في اولها ثلاثة اشيا تتعلق بنبوته وهي قوله ما ودعك
ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختمها بذكر
احوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا
اي عن علم الحكم والاحكام فهدى ووجدك عايلا فاغنى ثم ذكر في سورة الم نشرح انه
تعالى شرفه عليه الصلاة والسلام بثلاثة اشيا وهي الم نشرح لك صدرك اي الم نفسح
حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك وزرك اي عناك الثقيل الذي
انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة حتى قال انا اعطيناك الكوثر اي
اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي كل واحدة منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها
واذا انعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ثم ان الاشتغال بالعبادة

اما

اما ان يكون بالنفس وهو قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر وتامل قوله
انا اعطيناك كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على هذا ان الاعطا
حصل في الزمان الماضي قال عليه الصلاة والسلام كنت نبيا وادم بين الروح والجسد
ولا شك ان من كان في الزمن الماضي عزيزا مرعي الجانب اشرف ممن سيصير كذلك كانه
تعالى يقول يا محمد قد هيانا اسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف
امرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا ايها العبد الكريم انا لم نعطك هذا
الفضل العظيم لاجل طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب
واختلف المفسرون في تفسير الكوثر على وجوه منها انه نهر في الجنة وهذا هو
المشهور والمستفيض عند السلف والخلف فروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا
يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر رواه البخاري
وقيل الكوثر اولاده لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام
بعدم الاولاد وعلى هذا فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على ممر الزمان فانظر كم قتل
من اهل البيت ثم العالم ممتلى منهم ولم يتفق لنبي من الانبيا غيره وقيل الكوثر الخير الكثير
وقيل النبوة وهي الخير الكثير وقيل علما امته وقيل الاسلام ولا ريب انها من الخير الكثير
فالعلما ورثة الانبيا كما رواه احمد وابو داود والترمذي واما علما امتي كانبيا بني اسرائيل
فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري والزركشي انه لا اصل له نعم روى ابو نعيم
في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب الناس من درجة
النبوة اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع وعن بعضهم المراد بالكوثر
العلم وحمله عليه اولى لوجوه احدها ان العلم هو الخير الكثير والثاني اما ان يحمل الكوثر
على نعم الاخرة او على نعم الدنيا قال والاول غير جايز لانه قال انا اعطيناك والجنة
سيعطيها لا انه اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور
الواصلة اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث انه
قال انا اعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشي الذي يتقدم على العبادة
هو المعرفة ولان الفا في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة ليس الا
العلم وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جمع نعم الله تعالى على نبيه صلى الله
عليه وسلم وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي
فوجب حملها على الكل ولذا روي ان ابا سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن
ابن عباس قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي
في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه قال الامام فخر الدين ابن الخطيب قال بعض
العلما ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر

Copyright ... University